أستحسنه لأنى أرجو ألا آثم فيه ، وسمعت شعرك فى هذا المعنى فأحببت أن أستزيد منه ، فأحب أن تنشدنى من جيد ما قلت ، فقال : اعلم أن ما قلته ردىء ، قلت : وكيف ؟ قال : لأن الشعر ينبغى أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين ، أو مثل شعر بشار وابن هرمة ، فان لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعرى ، ولا سيما الأشعار التى فى الزهد ، فان الزهد ليس من مذاهب الملوك ، ولا من مذاهب رواة الشعر ، ولا طلاب الغريب ، وهو مذهب أشغف الناس به ، الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرياء والعامة ، وأعجب الأشياء اليهم ما فهموه ، فقلت : صدقت ، ثم أنشدنى قصيدته :

لِدوا للموت وابنوا للخراب ... فكلُّكمُ يصير الى تَباب
ألا يا موتُ لم أر منك بُدًّا ... أتيتَ وما تحيفُ وما تحابى
كأنك قد هجمت على مشيبى ... كما هجم المشيب على شبابى

قال : فصرت الى أبى نواس فأعلمته ما دار بيننا ، فقال : والله ما أحسب فى شعره مثل ما أنشدك بيتاً آخر ، فصرت إليه فأخبرته بقول أبى نواس ، فأنشدنى قصيدته التى يقول فيها :

طولُ التعاشرِ بين الناس مملول ... ما لابن آدمَ إن فتشتَ معقولُ
يا راعىَ الشاءِ لا تغفل رعايتها ... فأنت عن كل ما استرعيت مسئول
إنى لفى منزل ما زلتُ أعمره ... على يقين بأنى عنه منقول
وليس من موضع يأتيه ذو نفَس ... إلا وللموت سيفٌ فيه مسلول
لم يُشغَل الموتُ عنا مذ أُعِدّ لنا ... وكلُّنا عنه باللذات مشغول
ومن يمت فهو مقطوع ومجتنب ... والحىُّ ما عاش مَغشيٌّ وموصول
كلٌّ ما بدا لك فالآكال فانية ... وكلُّ ذى أكُل لا بد مأكول

قال : ثم أنشدنى عدة قصائد ما هى بدون هذه ، فصرت الى أبى نواس فأخبرته فتغير لونه ، وقال : لم أخبرته بما قلت ؟ قد والله أجاد ، ولم يقل فيه سوءا

والذى أراه فى ذلك أن أبا العتاهية كان يريد بهذا صرف هذا الرجل عنه ، لأنه كان معتزا بشعره معتدا به ، وقد قارع به بشاراً وغيره لدى الملوك والأمراء ففاز به قصب السبق ، ونال من صلاتهم وجوائزهم ما لم ينله غيره ، ولو كان يراه دون غيره من الشعر لقعد به فى بيته ، ولم يقو أن يقارع أحداً به ؟!

عبد المتعال الصعيدى

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢٠ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

الناحية السلبية من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوى

— ١ —

كل جيل أو كل حضارة مرتبطة بسلسلة من القيم الاجتماعية تؤمن بأن هنالك شيئاً أسمى من شيء ، وأن عملاً أفضل من عمل ، وترى أن الحقيقة أسمى من الضلال ، وأن عاطفة الرأفة أفضل من عاطفة القسوة ، وواجب التاريخ البشرى هو تبيين هذه المقامات والفصل بينها ، لأن هذه المقامات المنطوية على التقاليد الاجتماعية هى التى تسيطر على حياة الأفراد والجماعات ، وتؤثر فى كل أحكامنا ومناقشاتنا . وجدير بها والحالة هذه أن تشغل عقل الفيلسوف وأن تستبد بأكثر عقله وفراغه

نظر نيتشه إلى هذه المقامات وتأملها ملياً ، فجاءت نتيجة تأمله أن هذه المقامات التى تتعاقب عليها الحياة الأوروبية اليوم لهى مقامات فاسدة يجب تنكيسها لأنها لا تصلح للبقاء ، وبهذا يتبدل مجرى حياتنا ، وتبيد هذه المكازات التى تتوكأ عليها أحكامنا وأفكارنا . وقد نرى نيتشه — فى أحد نوبات ألمه العنيف قبل ضياع عقله — ينذر بخراب مروع لهذه البشرية : « إننى أحلف لكم بأن الأرض ستتلوى متشنجة خلال عامين اثنين . . . إننى بنفسى قضاء وقدر »

إن الانسان الحالى يضع فى قاعة « القيم الاجتماعية » عدداً من القيم المطلقة العالية التى لا يمسها سوء ولا يشرف عليها عقل ، ولا يتطاول إليها نقاش ، وبواسطة هذه القيم يسعى الى تبيين الحقيقة . من هذه القيم المعروفة مثلاً عنصرا الخير والحقيقة . وقديماً وحديثاً نرى أن تعبد الحقيقة والصدق هو رأس عقائدنا وإيماننا . ناهيك أن المفكرين أنفسهم وقفوا متهيبين إزاء مسألة الخير والشر حين عرضت لهم ، وقد ظلوا مترددين أمامها ، راعين للتقاليد التى توارثوها عنها . « فكانت » قد افترض وجودها ،

وشوپنهاور وجد أن العقدة الأخلاقية إنما هي عقدة عامة ، جميع الناس فيها سواء . « فلا تسيء لأخيك ، وأغث إخوانك ما استطعت » . وهكذا تطامن الفلاسفة على هذه العقدة ولم يهزوا شجرتها . وكلهم تجمهروا ليدرسوا رأس الأخلاق وهذا الضمير الخلقي الذي اصطلح البشر عامتهم على احترامه والذي لا زال يسيطر على الأجيال الحالية

أعلن نيتشه الحرب على هـذا التعبد للحقيقة وهذه العبادة لشريعة الأخلاق . وبدلاً من أن يتقبلها قبولاً لا مفر منـه ولا وجه لمقابلته بجدل . رأيناه يقابلها كمسألة يدرس وجوهها ويحلل مبهمها ويفترض ما يفترض في سـبيل تفهمها . أليس من حقه أن يتساءل « ولماذا كانت الحقيقة خيراً وأحرى ؟ : ولماذا كان الخير أجدر من الشر بالأخذ ؟ » ثم حلّ هذه المسألة بذات الجرأة التي ظهر بها جاعلاً قاعدة الانسان الحر هذه الكلمة المأثورة « لا شيء حقيق في الوجود ، كل شيء حلٌّ للانسان »

وما هذه الكلمات النظرية التي تتردد بحروف مختلفة وأسماء متباينة دون أن يخرج معناها بخروج مبناها إلا كلمات ابتدعها الخيال وثبتها الوهم . أما الحقيقـة الجديرة بالنظر ، الحقيقة التي ينبغي لنا أن نعرفها فهي حقيقـة عالم رغائبنا وأهوائنا . فكل ما تحتوي عليـه حياتنا وإرادتنا وفكرتنا هو في الحقيقة نتاج ما فينا من الغرائز الحاكمة . وهذه الغرائز المتفرقة إنما تتشعب بها السبل إلى غريزة واحدة ، لا ترد إلا اليها ولا تصدر إلا عنها . هذه الغريزة هي إرادة القوة ، هذه الارادة التي تغنينا ـ لو رجعنا اليها في تحليـل جميع مظاهر الحياة التي تحيط بنا ونحيط بها . فكل كائن ـ سواء كان من عالم الحيوان أو النبات أو الانسان ـ يسعى إلى بسط سلطانه على غيره من الكائنات حتى يخضع له ما يخضع منها . وإن هذه الحرب القائمة وهذه الجهود الدائمة ، حيث لا تستقر حياة موجود إلا ببسط نفوذها ونشر قواها ، هي الشريعة الأساسية في الوجود ، وفي كل مظاهر الحياة ـ أنى كانت ـ ترى الغريزة قائدها وهاديها : فاذا رأيت إنساناً ما يجنح بطبعه إلى حب الفضيلة والفن والحقيقة فهذا الجنوح إنما قام بفضل هذه الغريزة الطبيعية التي رأت من خيرها أن تسلك هذا السبيل ، وهكذا قل في الفضيلة الدينية التي تجد بها بعض النفوس أقواتها وطعام غرائزها . وفي الحقيقة التي يضحي العالم في سبيلها بأزهى عمره تسوقه إليها إرادة القوة التي تعمـل على بسط سلطانها ، ولـكن الانسان مال إلى عبادة ما ابتدعه بنفسه « كمثل أعلى » ليشبع حاجة فيه من حاجاته . فبدلاً من أن يقول : سأحيا أنا لاشباع غرائزي ، وسأتحرى عن الخير والحقيقة تبعاً لهذه الشريعة حيث تدفعني إرادة قوتي : قال : إنما الخير والحقيقة شيئان ينبغي أن يطلبا لنفسيهما . . . يجب صنع الخير لأنه الخير . ويجب نشدان الحقيقة حباً للحقيقة . وحياة الانسان ليس لها قيمة إلا بقـدر ما تتنكر من أنانيتها وذاتيتها في سبيل خدمة هـذا المثل الأعلى ؛ فلنُقتل إذن كل ميولها الغريزية في سبيل هذا المثل ، معتقدة أن الأنانية هي شر كبير ورذيلة خطرة . على أن هذا الانسان نفسه الذي قدر هذا التقدير إنما تسوقه غريزة ـ لأن الغريزة هي سائقة النفوس الى ما تعمل ـ ولـكن هذه الغريزة غريزة فاسدة

على أن هذه الغرائز ليست في الناس سواء ، فبعضها معتدلة تعمل على تغذية حياتهـا وصيانة نموها ، وبعضها فاسدة معتلة تعمل على إخفاء مادتها الحيوية . وللعلل الجسدية تأثير كبير فيما قد يتدارکها الطبيب قبل أن تُـضوي الجسد . وهنالك علل « الشخصية » ولهذه العلل أسباب طبيعية . وبحسب هذه الغرائز المختلفة المتسيطرة على الانسان يأتي صاحبها صالحاً أو طالحاً ، مثلاً عالياً أو مثلاً سافلاً

إن ـ هنالك ـ رجالاً خالصي الأجسام والأرواح يقولون « نعم » للوجود ! هم سعداء ناعمون بحياتهم ، وهم ممن يجدر بالحياة أن تخلد لهم . وهنالك رجال منحطون ضعفاء مرضى قد أظلمت غريزتهم وماتت حيويتهم ، يقولون « لا » للوجود ! يجنحون إلى الموت والفناء ، لاغاية لهم يتحرون عنها ، وليس لهم ـ والحالة هذه ـ أن يتحروا عن بقائهم في الوجود ، وهذه سنة طبيعية تنطبق على الحياة التي لا تتمرد ، والحياة ـ في كل صقع ـ سائرة في طريق التقدم أو في طريق الانحطاط . والانسان فيها مثل غرسة ، طوراً تحيا ذابلة يائسة ، وطوراً تتفتح مشرقة زاهية ، تسمو منها فروع عالية

يتبع

خليل الهنداوي